تمهيد

انعدام الأمن الغذائي وجهٌ وحشيّ لعدم المساواة: وما إن يلوح خطره حتى يفرّق الأمم ويفتّت المجتمعات. وقصة الجوع قديمة بقدم البشرية، ولكنها اليوم باتت أشدّ تعقيداً، إذ تتشابك مع العولمة، وتغيُّر المناخ، والنمو السكاني، والجغرافيا السياسية.

وفي المنطقة العربية، تتفاقم الضغوط على الأمن الغذائي من جراء الحرب في أوكرانيا، وأزمة المعيشة العالمية، فتدفع هذه الأزمات أسعار المواد الغذائية نحو ارتفاع مطّرد. وفي بعض البلدان، دمّر الصراع قدرة المزارعين على إنتاج الغذاء وأتى على سُبُل عيش السكان بحيث لم يعودوا قادرين على تحمّل كلفة الأطعمة المغذّية. وفي بلدان أخرى، قضت الأزمات الاقتصادية على سُبُل العيش وأوهنت طاقات الحكومات الوطنية على إعالة سكانها.

وتأسر دوامة الفقر والجوع مئات ملايين الأسر في المنطقة العربية، فبات عليها اتخاذ قرارات صعبة بشأن كيفية تقسيم حصص الأغذية، وبشأن الأطعمة التي يمكن أن تقتطعها من وجباتها اليومية. والأشدّ تعرّضاً لخطر الجوع هم في الغالب الذين تجتمع عليهم أوجه متداخلة من عدم المساواة. وإذا ما لاح شبح الجوع في آفاق يغلّفها اليأس، قد يندفع البشر نحو مجازفات ما كانوا ليتّخذونها: قد يلجأون إلى وظائف خطرة، أو قد يبيعون أي أصول لديهم لمجرّد إطعام أسرهم، فتجرّهم دوامة الفقر والجوع أعمق وأعمق.

وخطر هذه الدوامة أشدّ على الأطفال الذين يعيشون تحت ظل الفقر، إذ تهدّدهم بالتأخر عن ركب التنمية. فمن دون الحصول على الطعام المغذّي الكافي، من غير المرجح أن ينمو هؤلاء الأطفال على قدم المساواة مع الأطفال الذين يعيشون في ظروف أفضل، ويتمتعون بتغذية جيدة. والأطفال الذين يعيشون في الفقر هم أشدّ عرضة لاعتلال الصحة، وأقل قدرة على تحمّل تكاليف الرعاية الطبية اللائقة. ولن تتاح لهم فرص التعليم التي تتاح لأقرانهم، ولن يتمكنوا أبداً من اللحاق بهم من حيث النمو النفسي والاجتماعي. وعندما يبلغون سنّ الرشد، ستتقلّص الفرص المتاحة لهم، وسيواجهون، على مدى حياتهم، أوجهاً مركّبة ومتداخلة من الإقصاء وعدم المساواة.

وليس الأمن الغذائي مسألة جوع فحسب، بل هو عامل تحديد للسيادة والاستقرار. فعلى مرّ التاريخ، وفي جميع أنحاء العالم، سار الازدهار يداً بيد مع حُسْن تغذية السكان. وبالمقابل، طالما أشعل فقر السكان وحرمانهم من الحصول على الغذاء الاضطرابات الاجتماعية وانعدام الاستقرار والعنف.

والمنطقة العربية موطنٌ لثروات هائلة، ولديها من الغذاء ما يكفي لإطعام سكانها، ما يطرح التساؤل: لماذا لا يزال انعدام الأمن الغذائي يهدّد المنطقة؟

والجواب هو، ببساطة، عدم المساواة. فالمنطقة العربية تسجّل أوسع فجوة لعدم المساواة في الدخل في العالم، وفيها قدر هائل من عدم المساواة في الحصول على الطعام المغذّي والصحي، وفي القدرة على تحمّل تكاليف هذا الغذاء. ويعاني ثلث سكان المنطقة من الجوع، ويعاني ثلث آخر من السمنة.

ومفتاح الحل هو التضامن وإعادة التوزيع. إلا أنّ نطاق المشكلة أوسع من أن تحلّه دولة واحدة بمفردها، فلا بد من تآزر بين قادة المنطقة لزيادة توفر الغذاء، وضمان الحصول عليه، وتحسين الاستفادة منه، وتحقيق استقراره. وفي بلداننا، علينا أن ندعم قطاع الزراعة والعاملين فيه، وأن نحسّن استخدام التقنيات الرقمية المبتكرة، وأن نعزز التجارة الإقليمية. علينا أن نركّز على إعادة التوزيع من خلال سياسات ضريبية تصاعدية، ونُظُم حماية اجتماعية شاملة للجميع. وعلينا أن نسرّع استجاباتنا لمخاطر تغيُّر المناخ بخفض الانبعاثات التي نسبّبها، والتكيّف مع الممارسات الجديدة، وتحسين إدارة أخطار الكوارث.

علينا أن نتحرّك الآن باعتماد سياسات عملية تقدّم حلولاً لإطعام مجتمعاتنا. وطالما أنّ الموارد كافية للجميع، من غير المقبول أن يعاني أي إنسان من الجوع، ناهيك عن المجاعة. فالأمن الغذائي ليس ترف اختيار، بل ضرورة ملحّة. وعلينا، في سعينا لإطعام سكان منطقتنا كافة، ألا نهمل أحداً.

رولا دشتي

وكيلة الأمين العام للأمم المتحدة
والأمينة التنفيذية للجنة الاقتصادية والاجتماعية
لغربي آسيا (الإسكوا)